قصة موسى والخضر عليهما السلام



خطب موسى عليه السلام في قومه -بني إسرائيل- يوماً ما ؛ فسأله أحدهم عن أعلم أهل الأرض ؛ فلأن موسى عليه السلام نبي وكليم الله ظنّ أنه أعلمهم..

فقال له موسى: أنا أعلم أهل الأرض ؛ فردّ هذا السائل بقوله : أنا أعلمهم ؛ فأراد الله أن يبيّن لموسى أن هناك عباد رزقهم الله علماً يفوق علمه..

وقد كان الأولى بموسى أن يقول :"الله أعلم" ؛ لكن بتدبير من الله حتى يعلّم نبيه أجرى على لسانه ذاك الجواب (أنا) ؛ فأمره الله بالسير معه ..

فأوحى الله إلى موسى أن يسير إلى مجمع البحرين ليلتقي بذلك العبد الذي هو أعلم من موسى عليه السلام. مجمع البحرين : لا دليل على مكانه بالتحديد.

أخذ موسى عليه السلام معه الزاد وخادمه (يوشع بن نون) ؛ وأخبر الله موسى بعلامات يتعرّف بها على ذلك العبد (الخضر) ومنها : أن يأخذ معهما حوتاً..

وأخبره الله أنه حينما يفقد الحوت فإن سيكون في ذاك المكان (مجمع البحرين) الذي يوجد به ذلك العبد ؛ قيل أن الحوت كان ميّتاً فرآه الخادم حيّاً..

فرآه حيّاً ثم سقط في البحر ؛ ومن شدّة ذهول الخادم نسيَ أن يُخبر موسى عليه السلام بالذي رأه ؛ ﴿ فاتّخذ سبيله في البحر سرباً ﴾ ..

قيل أن الحوت كان على صخرة فيها عين يقال لها عين الحياة ، يخرج منها ماء؛ ما إن يصيب شيئاً إلا ويعود حياً وهكذا رجع الحوت للحياة بعدما أصابه..

أخبر الخادم موسى عليه السلام لاحقاً بما حصل للحوت فأخذا يقصّان الأثر عائدين لعلّهم يجدونه ﴿ فارتدّا على آثرهما قصصاً ﴾..

وعند الصخرة -التي فقدوا الحوت عندها- وجدا الخضر فالتقى به موسى وطلبه مرافقته ليتعلّم من علمه الذي وسِع علمه. استطراد: تواضع في طلب العلم.

فعرّف موسى بنفسه وأخبره أن جاء ليتعلّم من علمه الذي لا يعلمه ، ومن تواضع الخضر وحكمته رد عليه بـ "وأنت كذلك آتاك الله علماً لا أعلمه أنا"..

ثم نبّه الخضر موسى عليه السلام أن لا يسأله عن شيء يفعله حتى يخبره بنفسه عن سببه ؛ ﴿ فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك من ذكراً ﴾.

فانطلقا برحلة حدثت فيها ٣ مواقف عجيبة لم يستطع موسى كتم استغرابه فيها ، قال نبينا –عليه الصلاة والسلام- : " رحم الله أخي موسى لوددت أن صبر حتى يقصّ الله علينا "..

أول المواقف كانت حينما ركب موسى والخضر سفينة فقام الخضر بخرقها فلم يصبر موسى على ذلك فقال له: ﴿ أخرقتها لِتُغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً ﴾ .

فذكّره الخضر بتنبيهه له : ﴿ ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ ؛ فاعتذر موسى عن ذلك ﴿ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً ﴾ ..

استطراد : جاء عصفور فوقف على السفينة وشرب من البحر فقال الخضر لموسى: " ما علمي وعلمك من علم الله إلّا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ".

فانطلقا مرة أخرى فوجدا غُلاماً فقتله الخضر فلم يصبر موسى مرة أخرى (الأولى كانت نسياناً لتنبيه الخضر) فقال : ﴿ أقتلت نفساً زكية بغير نفس ﴾ ..

ومن حِلم الخضر ذكّر موسى بتنبيهه : ﴿ ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ ؛ فلم يعاتبه وهذا من أدبه لعلمه بمقام موسى عند الله وأنه خير منه..

فردّ عليه موسى إجلالاً واستحياءً منه : ﴿ إن سألتك عن شيء بعدها فلا تُصاحبني قد بلغت من لدنّي عذراً ﴾ ؛ أي أعذرتني بما يكفي لتصبر علي..

ثم انطلقا نحو قرية فرفض أهلها ضيافتهم ؛ ثم وجدا جداراً شارف على السقوط فعدّله الخضر وأقامه ؛ فاستغرب موسى ردة فعله مع أنهم لم يضيفوهم..

فقال له موسى : ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾ ؛ وهنا قال الخضر : ﴿ هذا فراقُ بيني وبينك ﴾ ؛ أي نكتفي هنا في الرحلة .. ثم أخبره بأنه سيعلمه ..

﴿ سأنبّئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ ؛ أما السفينة فكانت لفقراء مساكين وعندهم ملك يسلبهم السفن الصالحة فأراد الخضر منعه بوضع عيبٍ فيها..

وأمّا الغلام الذي قتله فقد أطلع الله الخضر على مستقبله وأن سيرهق والديه بكُفره. وهنا وقفة : القتل ممنوع في كل الشرائع لكن الخضر أُوحي إليه.

﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكُفراً﴾ ؛ فالمسألة هنا استثناء خصَّ الله به الخضر كما في مسألة إبراهيم وإسماعيل..

وأما موضوع الجدار فكان تحت هذا الجدار كنز ليتيمين لم يبلغا أشدّهما فإراد الخضر إخفاءه حتى يكبرا ويقويا فيستخرجانه دون خوف من أن يُسلب منهم..

وهذا من رحمة الله باليتيمين. وهنا وقفة أخرى: قال الله ﴿وكان أبوهما (صالحاً)﴾ ؛ أصلح ما بينك وبين الله فيحفظك ويحفظ من تؤلهم في حلّك وغيابك .

كانت هذه قصة موسى والخضر عليهما السلام على عجل واختصار؛ إن وٌفقت فمن الله وحده وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان .

وصلى الله وبارك على نبينا محمد.